ضبط الخلافات

ليس تصعيد حدّة التوتر و«استخدام» الحظر النفطي سوى مثالين على سعي الاتحاد السوفياتي الى تحقيق هدفه الاوحد: ان يكون الحل في الشرق الاوسط نتيجة عمل مشترك للقوتين العظميين، وان يتدخّل، بصورة فاعلة، في تشكيل ناتج الصراع نفسه. وبما ان القضية الفلسطينية هي جوهر ذلك الصراع، فقد أتاح التوازن الاقليمي الجديد، الذي نتج عن حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، للطرفين المعنيّين، منظمة التحرير الفلسطينية والاتحاد السوفياتي، ان يندفعا الى واجهة الساحة الاقليمية. من هذا المنظور، تابعت موسكو سياسة تقوم على الشعار التالي: الاستفادة من أي فرصة، من اجل تحقيق مكسب سياسي تضعف فيه أهمية الاعتبارات الايديولوجية.

هكذا، اذاً، وبينما كانت واشنطن تعمل على تحسين مواقعها في مصر والسودان وفي بلدان عربية أخرى، كانت موسكو، منذ نهاية تشرين الاول (اكتوبر)، تعمل، بشكل واضح، على التقرّب من منظمة التحرير الفلسطينية، نتيجة غياب الشريك الاقليمي الثابت والنافذ، بقصد ادخال عناصر اخلال الى المعادلة السياسية التي كانت سائدة في المنطقة[٢٨]. في هذا السياق، يشار، بصفة خاصة، الى تصريح بريجينيف، في خطابه في المؤتمر العالمي لقوى السلام، في ٢٦ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣، بأن قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢ «يشير، أيضاً، الى ضرورة تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين، أي تأمين الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي». وفي البيان الصادر عن هذا المؤتمر، وردت الاشارة، بوحي سوفياتي طبعاً، الى «حقوق شعب فلسطين العربي بالعودة الى وطنه، وبتقرير المصير، وفقاً لقرارات الامم المتحدة». بيْد ان التغيير الملموس في الصيغة السوفياتية الرسمية بشأن حل المشكلة الفلسطينية برز، وبحق، في البيان السوفياتي ـ اليوغسلافي المشترك، الذي أُصدر في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣، اذ جاء فيه: «يجب، أيضاً، احقاق الحقوق القومية المشروعة لشعب فلسطين العربي»[٢٩].

كانت النتائج المباشرة للتقارب السوفياتي ـ الفلسطيني أكثر من ان تحصى. ولعلّ أهمّها ما ذُكر في نهاية تشرين الاول (اكتوبر)، من ان رئيس اللجنة التنفيذية، ياسر عرفات، تلقّى رسالة «هامّة جداً» من القادة السوفيات، قيل انها احتوت على توضيح عزم موسكو على السعي الى توجيه دعوة الى منظمة التحرير الفلسطينية لتشارك في مؤتمر السلام في جنيف، الذي كان يجرى التحضير لعقده، بصفتها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني[٣٠]. الّا ان السفير السوفياتي في بيروت، سرفار عظيموف ـ حسب رواية أمين سرّ منظمة «الصاعقة» زهير محسن ـ لم يسلِّم رسالة مكتوبة أو ذات نصوص لعرفات، وانما أبلغ اليه ما ورد في برقية من القادة السوفيات، وملخّص مضمونها ان الاتحاد السوفياتي حريص على مصالح الشعوب العربية، والشعب الفلسطيني بصفة خاصة، وان على المقاومة ان تشارك في مؤتمر السلام المزمع عقده، والذي ستشترك فيه مصر وسوريا وباقي الدول العربية الصديقة، على حدّ تعبير السفير السوفياتي، وسيكون المؤتمر تحت اشراف الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية، حيث ستتمّ تسوية على أساس قرار مجلس الامن الدولي الرقم ٢٤٢، الذي يشير الى اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط. وأشار عظيموف، كذلك، الى ان الاتحاد السوفياتي يفهم، ويصرّ على، انه لا بدّ من اقرار الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وفق المبادىء الأولية التي اتُفق بشأنها في «قمة واشنطن» بين بريجينيف ونيكسون. ودعا الفلسطينيين الى الاعتماد على التأييد الكامل للاتحاد السوفياتي بشأن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، وطلب من